Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السائح يتخير من وضع المرأة ما يخدم استراتيجيته الفنية التي تؤكد على الأوضاع السلبية في مجتمعنا، وقد استثمر لذلك النص الشعبي بكل ما يحمل من سمات دلالية، وقد وظف لذلك شخصية خليفة المداح وهي شخصية قد تكون أسطورية لها دور فعال في أحداث هذا النص السردي، إذ استطاعت أن تزوده بدلالات من خلال ذلك المد المتدفق من شحنات الذاكرة الجماعية المرتبطة بالمورث الشعبي، وتحضر هذه الشخصية لتفعل فعلها في النص، ثم تمر من دون أن نشعر بذلك، وتقدم نفسها بلغة وسطى في حلقة السوق كان خليفة المداح مسد على شواربه وطلب إغلاق الحلقة حتى لا يتسرب سر قصة اليتيمة في الدار الكبيرة، يا حضار، من مقام الفجار جاءتنا الأخبار.. "(النص 38) إنه نص مكثف اعتمد على تقنية الوصف والتشويق ليقدم صورة أخرى للمرأة في وضع يثير كثيراً من الشفقة ويكشف عن وحشية الرجل في افتراس ضحاياه والتنكيل بهم. لقد كانت شخصية "خليفة المداح" شخصية غريبة عجيبة. واستطاع المبدع عبرها أن يمرر خطابا، ربما عجز النص الفصيح عن حمله، وتوصيله إلى المتلقي. فحلقة خليفة المداح تجمع الناس، في حين أن صفارة البوليسي تفرقهم "حاشاك سيدتي" الغاشي هم من تجمعهم حلقة خليفة المداح وتفرقهم صفارة البرجي البوليسي (النص: 35).

إن شخصية خليفة المداح شخصية من ورق، وهي غير محددة المعالم، إنها مفهوم، إنها دور، إنها وظيفة. وإذا نحن حاولنا أن نرصدها، فإننا في الواقع لا نستطيع أن نحدها بحدود، ولا يمكن القبض عليها، هي كبقية الشخصيات الكثيرة في النص، والتي قد تكون سبب في إصابة القارئ بدوار إن حاولنا أن نحدد لها معالم، أو أن نرسم لها حدوداً. ولهذا قد تكون هذه الشخصية معادلاً موضوعياً للمبدع نفسه، وهي تتقاطع كثيراً مع شخصيات بوحباكة. كما تسهم هذه الشخصية في تطوير الحدث في ذلك الزخم اللغوي الممتد، وكم كان السائح موفقاً في توظيف هذه الشخصية في كسر السرد، أو مده بشحنات تعبيرية متدفقة، جعلت النص ينفتح على دلالات إيحائية. ثم إن التسمية نفسها "خليفة المداح" علاقة اسنادية تحيل إلى حمولة تنهل من مرجعية (المداح أو القوال) في الأوساط الشعبية. هذا الذي استثمر استثماراً مربحاً في المسرح الاحتفالي ومسرح الحلقة، حيث وجد فيه بعض المبدعين طاقة تعبيرية لا يستهان بها، خاصة إذا وظفت بعناية واهتمام، ولعل طروحات عبد القادر والطيب صديقي وعبد الكريم برشيد مفيدة في هذا المجال.